107615 ـ كيف تتخلص من سارقي الأعمار

السؤال

ابتليت ـ والله تعالى المستعان ـ بصحبة الفارغات اللاتي لا يحسبن للوقت حسابا ، فيتحدثن في الهاتف لفترات طويلة ، ويتصلن في اليوم أكثر من مرة , وأنا أحيانا أجاريهن في انتظار أن ينهين المكالمات ولكن دون فائدة ، فأنا من ينهيها غالبا , المشكلة أنني محتارة جدا بين أن أتعامل معهن بحسن خلق ، أو أن أحافظ على وقتي الذي هو عمري , كثيرا ما أشغلني هذا الموضوع إذا صارحتهن أو تجاهلت مكالماتهن أو أصررت على إنهائها رغما عنهن ، أظل خائفة من أن أكون سيئة الخلق ، وسوء الخلق كما تعلمون يفسد العمل , وإذا جاريتهن وأرضيتهن نوعا ما أظل خائفة ماذا سأقول لربي في ساعاتي التي أضعتها دون فائدة , مع العلم أني حاولت كثيرا أن أصارح مرة بلطف ومرة بعنف ، ولكن دون جدوى ، كما لا أستطيع قطع هذه العلاقات التي تزيد مدة بعضها عن السبع سنوات . أشيروا علي جزاكم الله خيرا ، فقد طالت معاناتي.. وحول نفس الموضوع : كيف أتعامل مع الأهل في المنزل ، أو كثرة الضيوف الذين لا يعرفون للوقت قيمة ، ويطالبونني بالجلوس معهم لساعات ، أو ربما أيام دون عمل ترجى فائدته ؟ وفقكم الله لما يحب .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نصيحتنا لك نوجزها في أمور ثلاثة :

الأول : نثني على حرصك ومحافظتك على وقتك ، والحق كل الحق فيما تشعرين ؛ لأن عُمُر الإنسان هو أيامه التي تُطوى ، وساعاته التي تُقضى ، والعاقل هو الذي يحفظ رأس ماله من الضياع ، والخاسر هو الذي يفرط في أثمن ما يملك ، فلا يرعى له حرمة ، ولا يعرف له قدرا .

جاء في تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" (22/83) :

" أقسم الله تعالى بالعصر – الذي هو الزمن – لما فيه من الأعاجيب ؛ لأنه يحصل فيه السراء والضراء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ؛ ولأن العمر لا يُقَوَّمُ بشيء نفاسة وغلاء ، فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ، ثم تبت وثبتت لك السعادة في اللمحة الأخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد ، فعلمت أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة ، فكان الزمان من جملة أصول النعم ، فلذلك أقسم الله به ، ونبه سبحانه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها الإنسان ، وأن الزمان أشرف من المكان فأقسم به ، لكون الزمان نعمة خالصة لا عيب فيها ، وإنما الخاسر المعيب هو الإنسان " انتهى .

ثانيا : ثم نوصيك بعدم المبالغة في الزهد بالحديث مع الناس والأصحاب ، والمحافظة على قدرٍ مِن مجالستهم وملاطفتهم ، خاصة الأقارب منهم ، فقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم زيارة أصحابه ، والأنس بهم ، والحديث معهم ، ولكن

المحذور هو المبالغة في ذلك حتى تنقضي الساعات الطوال ، أو حتى يقع التفريط في الواجبات الأخرى التي تنتظر قضاءها ، من عبادة ، وتعلم ، وعمل ، ونحوها ، وخير الأمور أوساطها ، ومن قصد الخير وفقه الله إليه .

ولتحرصي أثناء محادثة أصدقائك وأقاربك على مدارسة المواضيع الجادة المهمة ، ومناقشة ما ينفع في الدين أو الدنيا ، ليكتب لك الأجر في إفادتهم ، وليكون مجلسكم ذلك حجة لكم يوم القيامة ، لا حجة عليكم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ)

رواه أحمد (2/463) ، وصححه المحققون على شرط الشيخين . والشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/76)

ثالثا : أحسني التخلص والاعتذار من سارقي الأعمار والأوقات ، وتأملي في الوسائل التي تعينك على ذلك ، فأنت أدرى بظرفك وحالك ، ومن ذلك مثلا :

أن تعتذري بانشغالك بالتحضير لامتحان الجامعة أو المدرسة أو الدورة العلمية إن كنت مرتبطة بشيء منها ، أو بانشغالك بتجهيز مشروع معين لتلك الجهة ، فالناس غالبا ما يعذرون في هذه الأشياء ، بل ويشجعون على استغلال الوقت لها ، ولو اضطرك الأمر للارتباط فعليا بإحدى الجهات العلمية كي يقتنع الناس بعذرك .

ويمكنك استعمال هذا العذر مع الضيوف الحاضرين ، كما يمكنك الاعتذار به من صديقاتك المتصلات ، وإن كان التخلص على الهاتف أسهل وأيسر ، إذ لا يرى المتصل حقيقة ما تفعلين في البيت ، فلك أن تعتذري منها برغبتك في الصلاة قبل فوات وقتها ، ولتكن نيتك صلاة النافلة إن كنت صليت الفريضة ، أو اطلبي من والدتك مناداتك أثناء حديثك على الهاتف لطلب مساعدتها في العمل ، فإذا سمعت المتحدثة نداء الوالدة قطعت اتصالها بك ، وهكذا يستطيع المرء أن يجد ما يتخلص به من نزيف الأوقات الذي يحدثه كثير من الناس .

وننقل لك هنا شكوى أحد العلماء من سارقي الأعمار ، وكيف كان علاجه لهذه المشكلة ، مع كلام جميل في أهمية الوقت ، وضرورة حفظه واستغلاله .

يقول ابن الجوزي في "صيد الخاطر" (ص/240-241) :

" أعوذ بالله من صحبة البطَّالين ! لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، ويسمون ذلك التردد خدمة ، ويطلبون الجلوس ، ويجرون فيه أحاديث الناس ، وما لا يعني ، وما يتخلله غيبة !

وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس ، وربما طلبه المزور ، وتشوق إليه ، واستوحش من الوحدة ، وخصوصًا في أيام التهاني والأعياد ، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام ، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان .

فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء ، والواجب انتهابه بفعل الخير ، كرهت ذلك ، وبقيت معهم بين أمرين : إن أنكرت عليهم وقعت وحشة ، لموضع قطع المألوف ! وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ! فصرت أدافع اللقاء جهدي : فإذا غلبت قصرت في الكلام لأتعجل الفراق .

ثم أعددت أعمالًا لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم ، لئلا يمضي الزمان فارغًا ، فجعلت من المستعد للقائهم : قطع الكاغد – ورق الكتابة – ، وبري الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لا بد منها ، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي .

نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر ، وأن يوفقنا لاغتنامه .

ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة : فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله ، فهو يقعد في السوق أكثر النهار ، ينظر إلى الناس ، وكم تمر به من آفة ومنكر ! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ! ، ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين ، والغلاء والرخص ، إلى غير ذلك : فعلمت أن الله تعالى لم يُطلِع على شرف العمر ، ومعرفة قدر أوقات العافية ، إلا مَن وَفَّقه وألهمه اغتنام ذلك ، (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) فصلت/35" انتهى .

نسأل الله تعالى لنا ولك التوفيق والسعادة في الدنيا والآخرة .

والله أعلم .